اهمية الاتصال في المجتمعات الانسانية :

ان لدراسة الاتصال الانساني تاريخ طويل و مميز . يمكننا القول انه و منذ ان بدا الانسان باكتساب القدرة على الاتصال من خلال الرموز و النماذج الشفوية و غير الشفوية فقد بدات دراسة الاتصال . حقا ان احدى الميزات التي تميزنا عن الحيوانات هي القدرة على ايصال افكار مثل الزمن والمكان الفضاء و التعامل مع كل مفردة منها ؛ بمنفصلة عن الاخريات . وهكذا فقد قمنا نحن البشر بدراسة الاتصال الانساني و ان كان بشكل غير علمي في البداية و تطورت الدراسات لتصبح من خلال انظمة اكثر رسمية بعد ان فهمنا بشكل افضل دور الاتصال في المجتمع و دوره في الانشطة الحياتية اليومية .اتضحت اهمية دراسة الاتصال الانساني بعد شموله في البرامج التربوية منذ ظهور اول نظام مدرسي رسمي قبل ٥٠٠٠ سنة مضت.

ان اهمية الاتصال في المجتمع الانساني تم ادراكها قبل الاف السنين أي لفترة ما قبل التاريخ . تم اكشاف اقدم مقالة كتبت عن الموضوع سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد وتتالف من نصيحة حول كيفية التحدث بشكل فعال و مؤثر . هذه المقالة التي كتبت على مخطوطة و موجهة الى (كاغيمناي) الابن الاكبر للفرعون (هوني).

يمكن تقسيم دراسة الاتصال الانساني في الوقت الحاضر الى تصنيفين رئيسين : الدراسات البلاغية و الدراسات العلائقية . يركز مفهوم الاتصال

Scanned with CamScanner

البلاغي على في الاساس على دراسة التاثير. وظيفة الاتصال البلاغي هي حث الاخرين على فعل ما تريده او ما تحتاجهم ان يفعلوه او ان يفكروا بالطريقة التي تريدها انت او تحتاج منهم ان يفكروا وفقها – أي لتقنعهم. من جهة اخرى يركز المفهوم العلائقي على تفحص الاتصال من منظور تنسيقي انتقالي. أي ان يقوم فردان او اكثر بتنسيق اتصالهم للوصول الى وجهة نظر مشتركة مرضية للجميع. يمثل هذين التوجهين المختلفين الاتجاهات المهيمنة للثقافتين الغربية و الشرقية . اذ يضحي التوجه الغربي البلاغي بالعلاقات لتحقيق التاثير و قد يضحي المنظور الشرقي العلائقي بتحقيق التاثير لحماية العلاقات.

التقليد البلاغي :

يرجع التقليد البلاغي بجذوره الى ٢٥٠٠ منذ ان كتبت الرسالة الموجهة لكاغيناي ٥٠٠ قبل الميلاد في سيراقيوس. بعد ان تاسس النظام الديمقراطي في سيراقيوس بعد اسقاط ثراسيبوليس، سارع المواطنون في التوجه نحو المحاكم لاسترجاع المَلكية التي اخذت منهم ظلماً خلال حقبة الدكتاتور . كان الهدف من فن البلاغة الذي طوره كوراكس هو مساعدة الناس العاديين على اثبات ادعاءاتهم في المحاكم. رغم ان كوراكس وتلميذه تيسياس ينسب لهما تاليف دليل الخطابة العامة الا ان هذا المؤلف لم يعد موجودا . وعلى الرغم من عدم تاكدنا من محتوياته فقد اشار الباحثون الى انه احتوى مفردتين مهمتين جدا لتطور النظرية البلاغية . المفردة الاولى تمثلت بنظرية كيفية اثبات البراهين عن طريق الاحتماليات و هي نظرية طورت بعد قرن من الزمن عن طريق ارسطو. وينسب لكوراكس و تلميذه تيتياس انهم اول من طور مفهوم تنظيم الرسالة ما نسميه في الوقت الحاضر بالمقدمة و الجسم و الخاتمة.

الدراسات البلاغية في الولايات المتحدة :

ان اول منظمة مهنية للمهتمين بدراسة الاتصال الانساني والتي تعرف الان بجمعية الاتصال الشرقي قد تشكلت عام ١٩٠٩ عن طريق مجموعة

Scanned with CamScanner

من اساتذة الخطابة العامة في اقسام اللغة الانكليزية في الكليات و الجامعات الشرقية . بعد خمس سنوات التحق العديد من هؤلاء الاساتذة باساتذة اخرين من اجزاء اخرى من الولايات المتحدة ليشكلوا ما يعرف الان بجمعية الاتصال الخطابي/ هي جمعية مهنية قومية تالفت من اساتذة الخطابة العامة.

تهتم هذه الجمعية سابقا و حتى الوقت الحاضر بتطوير فهم اكبر لكيفية سير الاتصال الانساني و كيفية تعليم الناس بان يكونوا متصلين اكثر كفاءة. بما ان الانظمة السياسية و الاجتماعية في النصف الاول من القرن العشرين في امريكا كانت مشابهة جدا للانظمة المتبعة في اليونان في عهد ارسطو فقد كان التقليد البلاغي لارسطو ممتازا لموائمة حاجات الباحثين في تلك الحقبة.

للتعرف اكثر على طبيعة المفهوم البلاغي في دراسة الاتصال الانساني فمن المفيد اكتساب رؤية عن الثقافات التي تاصل فيها وأ تزدهر في الوقت الحاضر. من منظورنا الحديث نرى ان للثقافات اليونانية و الرومانية القديمة العديد من السمات الايجابية و السلبية . رغم اهتمامها بالفلسفة و الدين و الفنون والتزامها بتشكيل الديمقراطية فانها كانت ثقافات قاسية. وكانت الحياة صعبة على غالبية الناس.

كانت تلك المجتمعات التي تعج بالرقيق و كان العبد يقتل او يعذب بشدة لاسباب تافهة بحق مالكه. كانت هناك ثقافة واحدة مهيمنة و كان الحكام متمركزين حول ذاتهم و اثنيتهم. و كان الناس من الاعراق الاخرى ينظر اليهم كدخلاء و مصالحهم غير ذات اهمية. كانت الانظمة القانونية و التشريعية لهذه المجتمعات مكرسة لخدمة الطبقة الحاكمة و كان من المهم لاعضاء هذه الطبقة ان يقوموا بحل الخلافات و المشاركة باعمال منسقة للمحافظة على سلطتهم و الهيمنة على المجتمع. ان فهم كيفية الاتصال بشكل كفوء للمحافظة ضمن المجموعة الصغيرة الحاكمة هذه كان حاسما لمن يرغب بحماية مصالحه الخاصة او الحصول على مرتبة اعلى في القيادة. اذن كان الاتصال ينظر اليه كاداة استراتيجية أي اداة يستخدمها من

Scanned with CamScanner

هم في السلطة. كان المنظور اذن يتجه نحو المصدر أي كيف يمكن للمتحدث ان يجعل الجمهور يقوم بما اراده منهم. كان الاتصال في المحاكم يهتم بالخطابة العامة و كان الخطيب الكفوء هو الشخص الذي يحظى بالاحترام و السلطة.

رغم اننا لا نرغب بالاعتراف بذلك الا ان وصف روما و اليونان القديمة ينطبق على الثقافة الغربية المبكرة بما في ذلك الولايات المتحدة و العديد من البلدان الغربية من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر . لقد كنا في تلك الحقب مجتمعات تستعبد الانسان وكانت المراة تقريبا ملكا للرجل. و كان التوجه البلاغي مفصلا على مقاس المجتمعات حيث ان الانظمة القانونية و التشريعية في تلك الحقبة ترجع باصولها لليونان و الرومان القدماء.

المفهوم العلائقي :

يعود هذا المفهوم بقدمه الى ما قبل المفهوم البلاغي. و لم يكرس أي اهتمام لدراسته على ما يبدو في الولايات المتحدة حتى حلول النصف الثاني من القرن العشرين. تنبع اسس المفهوم العلائقي من الفلسفة الصينية القديمة . من هنا هذا التوجه هو الاكثر التحاقا بالفكر الشرقي .

ان وجود مفاهيم للاتصال غير المفهوم البلاغي قد شخص من قبل بعض الباحثين في امريكا قبل منتصف القرن العشرين. و لم يكن الانتباه جديا لهذا المفهوم حتى حلول الخمسينات و الستينات .

Scanned with CamScanner